العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فاما ازالة الشبهات وكشف الحقايق ومعرفة
الاشياء على ما هي عليه ودرك الاسرار التي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له الا المجاهدة
وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله وملازمة الفكر الصافي عن شوايب المجادلات وهي رحمة من الله
تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبقدر قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي
لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله مسئلة فان قلت هذا الكلام مشير الى هذه العلوم لها ظواهر و
اسرار وبعضها جلي يبدو اولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر
الصافي والسر الخالي عن كل شيء من اشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد ان يكون مخالفا
للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد
فاعلم ان انقسام هذه العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون
الذين تلقفوا في اول الصبي شيئا وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق الى شأو العلى ومقامات العلماء والا
ولياء وذلك ظاهر من ادلة الشرع قال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال
علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وقال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر
الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وقال ما حدث احد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا
كان فتنة عليهم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال صلى الله
عليه وسلم ان من العلوم كهيئة المكنون لا يعرفها الا العالمون بالله الحديث الى اخره كما اوردناه
في كتاب العلم وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري
ان لم يكن ذلك سرا منع من افشائه لقصور الافهام عن دركه او لمعنى اخر فلم لم يذكره لهم فلا
شك في انهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيرها لرجمتموني وفي لفظ اخر لقلتم انه
كافر وقال ابو هريرة حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين اما احدهما فبثثته واما الاخر فلو
بثثته لقطعتم هذا الحلقوم وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صيام ولا صلوة ولكن بسر
وقر في صدره ولا شك في ان ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد
الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التستري للعالم ثلثة علوم علم ظاهر
يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسع اظهاره الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله لا يظهره
لاحد وقال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو اظهر
لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو اظهروه لبطلت الاحكام
وهذا القايل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق
بل الصحيح انه لا تناقض وان الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ومدارك الورع النبوة في
مسئلة فان قيل فهذه الايات والاخبار يتطرق اليها تاويلات فبين كيفية اختلاف الظاهر والباطن

فان الباطن

فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف الشريعة
وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وان كان لا يناقضه ولا
يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا
فاعلم ان هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر الى علم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة
وهو غرض هذه الكتب فان العقايد التي ذكرناها من اعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقينها بالقبول والتصديق
بعقد القلب عليها لا بان يتوصل الى ان ينكشف لنا حقايقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا
انه من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب ولولا انه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما اوردناه في الشطر الاول
من الكتاب وانما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال
في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال ان الحقيقة تخالف الشريعة والباطن يخالف يناقض
الظاهر فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التي يختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون
في علمها ويمتنعون عن افشائها اليهم ترجع الى خمسة اقسام الاول ان يكون الشيء في نفسه دقيقا
يكل اكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير اهله اذ يصير ذلك فتنة
عليهم حيث تقصر افهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه
من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركه وتقصر الاوهام عن تصور كنهه فلا تظنن ان ذلك
لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان من لم يعرف الروح فكانه لم يعرف نفسه فكيف
يعرف ربه ولا يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا انبياء ولكنهم يتادبون
باداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله سبحانه وتعالى من الخفايا ما تقصر افهام
الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة
وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم اذ كانت لهم من الاوصاف
ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه
بعض المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكر للصبي والعنين لم يفهمها الا بمناسبة الى لذة
المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق و
قدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه و
صفات نفسه ما هو حاضر له في الحال وما كانت له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك
لغيره ثم قد يصدق بان بينهم التفاوت في الشرف والكمال فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله ما هو
ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف
صفات فيكون معظم تحويمه على نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وليس المعنى به اني عجزت عن التعبير
عما ادركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله
بالحقيقة سوى الله وقال الصديق الحمد لله الذي لم يجعل سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته